الصوفية والفقراء (*)

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وأنهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وانما أشتهر التكلم به بعد ذلك وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالقرشي والمدني وأمثال ذلك فقيل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لوكان كذلك لقيل صُفّيٌ وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقيل صَفّيٌ وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقيل صفوي وقيل نسبة الى صوفة بن بشر بن أدّ بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النساك وهذا وان كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر النساك ولانه لو نسب النساك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام وقيل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

(*) المنار : ننشر هذه الفتوى ليعلم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يزن كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

والخوف ونحو ذلك مالم يكن في سائر أهل الامصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصريه وقد روى ابو الشيخ الاصبهاني باسناده عن محمد بن سيرين انه بلغه ان قوما يفضلون لباس الصوف فقال ان قوما يتخيرون الصوف يقولون انهم متشبهون بالمسيح بن مريم وهدي نبينا أحب الينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاما نحوا من هذا ولهذا غالب مايحكي من المبالغة في هذا الباب انما هو عن عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصة زرارة بن ادّ في قاضي البصرة فانه قرأ في صلاة الفجر «فاذا نقر في الناقور» فخرميتا وكقصة ابي جهير الاعمى الذي قرأ عليه صالح المرّي فمات وكذلك غيره ممن روي انهم ماتوا باستماع قراءته وكان فيهم طوائف يصعقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك انكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبدالله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذان منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعا: يذكر عن محمد بن سيرين انه قال مابيننا وبين هؤلاء الذين يصعقون عند سماع القرآن ان يقرأ على أحدهم وهو على حائط فان خرّ فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لانه رآه بدعة مخالفا لما عرف من هدي الصحابة كما نقل عن أسماء وابنها عبدالله والذي عليه جمهور العلماء ان الواجد من هؤلاء اذا كان مغلوبا عليه لم ينكر عليه وان كان حال الثابت أ كمل منه ولهذا لما سئل الامام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد ان يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد نقل عن الشافعي انه أصابه ذلك وعلى بن الفضيل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه

لكن الاحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود كما قال تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون » وقال تعالى «الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » وقال تعالى « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبُكيًّا » وقال « واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخرّون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا» وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرَّين عليها والجفاء عن الدين ماهو مذموم وقد فعلوا، ومنهم من يظن ان حالهم هذا أكمل الاحوال وأتمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الامور ذميم

بل المراتب ثلاث احداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسماع والذكر وهؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى «ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل مايرد على قلبه فهذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك انما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه او يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه العشق أو قتله أو جننه وكذلك في غير. ولا يكون هذا الا لمن ورد عليه أمر ضعفت نفسه عن دفعه بمنزلة مايرد على البدن من الاسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فاذا كان لم يصدر منه تفريط ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للريبة كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك مايوجب له ذلك وكذلك مايرد على القلوب مما يسمونه السكر والنشا ونحو ذلك من الامور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فانه اذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فان السكران بلا تمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فانه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الامور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران

وهذا مذموم لان سببه محظور وقد يحصل بسبب سماع الاصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فانه ليس للرجل ان يسمع من الاصوات التي لم يؤمر بسماعها ما يزيل عقله اذ ازالة العقل محرم ومتى أفضى اليه سبب غير شرعي كان محرما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمور فيها نوع من الايمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله ان نمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الايمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادفه لا حيلة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لا فعل للعبد فيه كسماع لم يقصده يهيج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لان القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمغمى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخمر فهل هو مكلف حال زوال عقله ؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حاله نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي واحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لان هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا اوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن احمد ومذهب ابي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنونا إما بسبب خلط يغلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في النساك وقد يسمون المولهين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم الهم وأسقط وأبقى أحوالهم وأسقط ما فرض بالسلب فهذه الاحوال التي يقترن بها الغشى أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك اذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الايمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكمل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أو فعل ما يكرهه الله

ولكن من لم يزل عقله مع انه قد حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله أو أكمل منه فهو افضل منهم (٭ وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

٭) المنار: هذه المرتبة الثالثة وهي العليا ولم يصرح هنا بالعدد

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله ماأراه وأصبح كبائت لم يتغير عليه حاله فحاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صعقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة علية فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكمل واعلا وافضل .

والمقصود ان هــذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من البصرة وذلك لشدة الخوف فان الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السليمي وامثالها امر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وافضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقتصدا يدعوه الى فعل مايحبه الله وترك مايكره الله من غير هذه الزيادة فحاله أكمل وأفضل من حال هؤلاء وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان عطاء السليمي رضي الله عنه رؤيَ بعد موته فقيل له مافعل الله بك ؟ فقال قال لي ياعطاء أما استحيت مني أن تخافني كل هذا أما بلغك اني غفور رحيم .

وكذلك مايذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنه الرسول أمورا توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك وقوم يغلون فيهم ويجعلون هذا الطريق من أكمل الطرق وأعلاها والتحقيق انهم في هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغلون في تعظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قــد يفضلونهم على الصحابة وهذا باب يفترق فيه الناس

والصواب للمسلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسعهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله مااستطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا

أمرتكم بامر فأتوا منه ما استطعتم » وقال «لا يكلف الله نفسا الا وسعها» وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بدان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنساك افضل من طريق الصحابة فهو مخطيء ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما معيبا ممقوتا فهو مخطيء ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاة والمعاداة هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقاً واعرض عن سيآته واذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً واعرض عن حسناته محاط(؟) وحال من يقول بالتحافظ(؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة، وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعد الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمد عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق وأحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر، واستوى

عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعاني ، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسيرون بالصوفي الى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الانبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الانبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة انوع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأمراء فهو أخص من الصـديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فاذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين انهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة انهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجلّ الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم وان الصديق في العصر الاول أكمل منهم والصديقون درجات وأنواع ولهـذا يوجد لكل منهم صنف من الاحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وان كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا انهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الائمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام ، وطائفة غلت فيهم وادعوا انهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الانبياء وكلا طرفي قصد الامور ذميم والصواب انهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المنتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاّج مثلا فان أكثر مشائخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ ابو عبد الرحمن

السلمي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .

فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز واكبر أهل الحقائق لايتصدون بلوازم الخوانك ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم، والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب الاوقات واما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها، والثالث ان لايكون احدهم متمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالاخلاق المحمودة ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي اهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للغني كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (؟) والفقراء والفقر انواع فمنه المسوغ لاخذ الزكاة وضده الغنى المانع المحرم لاخذ الزكاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحل الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب » والغني الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك النصاب وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية والفقراء المستحقين للفيء في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم — الى قوله — للفقراء المهاجرين الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

رسوله من اهل القرى ـ الآية الى قوله ـ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »

وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلهما اتقاهما فان استويا في التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسنات فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل هذا فيه فقر او مافيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابي جعفر السهروردي ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلهما اتقاهما فان كان الصوفي اتقى لله كان افضل منه وهو ان يكون أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما لا يحبه كان افضل منه، فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في الدرجة، واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او فقيها او عالما او تاجرا او جنديا او صانعا أو اميرا اوحاكما او غير ذلك

قال الله تعالى «ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وماتقرب الي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لاعطينّه ولئن استعاذ بي لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وا كره مساءته ولا بد له منه» وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين المقربين والسابقين ، فالصنف الاول الذي تقربوا الى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي تقربوا اليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون اليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات» وكما قال الله تعالى «ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم * يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون * ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون» قال ابن عباس يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين مزجا، وقال تعالى ان «الابرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا» وقال تعالى «وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون» وقال تعالى «فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم. واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين»

وهذا الجواب فيه جمل تحتاج الى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

﴿ الشيعة والمسلمون ﴾

سئلنا عن قولنا في البابية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هـذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ فقلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء المنار وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قوبل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعثماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين ونفينا ان تكون طائفة البابية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان البابية ربما خرجت من مذهب الشيعة بمخالفته في المسائل التي كان بها مذهبا خاصا فقط وبقوا على اصل عقائد الاسلام التي لاخلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبينا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقا

مكة المكرمة (*

﴿ والجرائد العربية ﴾

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الاسلامية كلها

نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخارى ؟ لماذا نظل فاقدي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش؟

ألم يكفنا أننا تسفلنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعلل بلفظ « لا يصير » و « ما يعنينا » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئات الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها إخواننا المسلمون في أوستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخمينا ومجاورينا الايرانيين ؟ أو على المام بذل القفقاسيين ؟ أو سفالة القريميين؟ أوسياسة الصربيين؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟

لنترك هؤلاء أيضا . هل تدرعنا لانقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلغار من الجهل المخيم عليها منذ قرون ؟

أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول؟

أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا الى هذه الدرجة من الحيرة ؟

---

*) مقال محمد عالم افندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التى تصدر في الاستانة وقد نشر مترجما في مجلة النبراس ولخصته جريدة المفيد وعنها أخذنا

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العداء من لسان الاوداء، لا من لسان الاعداء ، حتى أصبحنا عرضة لامثال هذه الاقوال اللئيمة : « أي شيء رقاه المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به؟»

هنا يتهافت اخواننا و بنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيعلقون باشراك الشبهات والاضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقي الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاهة الموجودة عندنا هي من الغرابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعا للتمدن الأوربي الحالي، ومصدرا للعلم الحاضر، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم؟ فما هذا التناقض!

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقي ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يتبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكين للعلاء

نعم نحن نعترف بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخرية، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوهها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساهله مع العلم

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فاذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجتهد بازالة كربه ، فاننا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة

واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شئون اخوانهم النائين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فاذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسيرون عليها سعيا وراء كل ما يرمون اليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما . الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين. الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنجه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال

أيها القوم ! أليس من الاسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد اداء الصلوات الخمس فضلا عن اداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا يهتم بشأن الصلاة ؟ على اننا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الجامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهتم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكر به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقه ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحمى ، منيعة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تتذرع بالوسائل التي تقوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ! ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بانشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعم

اللسان الفرنسوي يعده الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم – اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنبيا ؟ – وعليه فأي شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه

اننا وايم الله لتأسف كل الاسف لاننا لم نتذرع حتى الآن بشي من هذا القبيل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا تحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نعقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان نعقدها ؟

انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الغراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا ؟ اننا مع الاسف لم نعمل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطة هي احسن وسيلة للوصول الى مانرمي اليه

واأسفاه ! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارجاء تراهم بسبب رزية جهلهم وسيئة عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

عقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لايمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشاكل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه ؟ نعم ما الذي صنعناه نحن ؟ اننا الى الآن لم نقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل اننا نحن الى الآن لم نقدر ان نفهمهم باننا مسلمون مثلهم

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالا مباحا طمعا بسلب ثلاث أوخمس ليرات منه !

العربان في تلك الارجاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو أن نجد ونجتهد لكي نجعله ماضيا و بعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي

اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان نهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . . لان . . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأبى ان تغلب انما تنالها بتلك الارجاء

يجب علينا ان نجعل لتلك الارجاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارجاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية

يجب ان تلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارجاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا (المدارس) في تلك الارجاء

يجب ان توزع من تلك الارجاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم

يجب ان نجعل تلك الارجاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية و يعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة

يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشئون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على انموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هداتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة .

يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز دياناتنا

اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا باتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان اتخاذ مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرباب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع أرجاء الارض

وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الامور واولو الشأن وار باب الاقلام منا بهذه النقطة الدقيقة فلاشك في انهم يجزمون بالفوائد الكثيرة التي نالها

اليس الواجب ان تشمل تلك الارجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الغيورين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة؟ اليس من الواجب ان لايحرم الحجاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل

ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والايرانيين والافغانيين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والاتراك ، والاكراد واللازيين ، والالبانيين ، والجراكسة — كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة (الدعوة) لتصدر منهم كلمة (الاجابة) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقيين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الامم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا تغتفر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التقاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي تمدن المسلمين كافة وتجعلهم متمدنين ؟ ألسنا من بني الانسان !

أيها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المغشية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الامم تجد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ! اننا نسمع الذين يلقبون بلقب (لورد) او (موسيو) يأسفون لوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا (حقوق الدول)

ايها المسلمون ! يجب ان تنتهبوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير والسلام على من اتبع الهدى اه

(المنار) طرقنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي، في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لاننا كنا نرجو من ذلك المقام القيام بالاصلاح المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سيئات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن مغترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ، الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



باب المناظرة والمراسلة

ايضاح وانتقاد

العلامة المفضال السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

(١٣ — السلام عليكم ورحمة الله) وبعد فقد اطلعت على جوابكم بالمنار (صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضعيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اختلس القليل من وقت راحتي لاكتب ما ارى ذمتي تطالبني بيانه اجمالا مع اعترافي بالعجز وان كان فيما اكتب شيئا من العسلطة فازلت اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدئ في بيان المقصود فاقول :

(١٤ — القسمة في الآخرة) ذكرتم في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان «فريق في الجنة وفريق في السعير» فهذا لا اخالفكم فيه في شيء

(١٥ — مساواة الناس في بدء الخلقة) قلتم في صحيفه ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيعيدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم «انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ . . . وهذا ما اخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقتهم متساوين(؟) لغرض واحد فلاشقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالآية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » لحصر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحد في بدء الخلقة لاتميز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا لسعيد

ثالثاً : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ... » فهـذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخالق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن ممـا يثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداهة على هـذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليها !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسـلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الاصـل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة تقسيم

(١٦ — سير الناس على نظام ذو (؟) وجهين) لعلكم تتساءلون بعد ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليهما .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وجعل لهم بارادته نظاما يسيرون عليه بعـد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعـالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخـير وطريق الشر في آن واحـد ولما كانت الطبيعة لانسانية متركبة بكيفية تلائم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحـد فقط منها ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعا للحرية

الانسان واستقلاله كالآية « إنا هـديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا » فكان ذلك داعيا لانقسامهم أنفسهم مع ان الله تعـالى لم يقسمهم من قبل ذلك . فتجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحـدة وآخر في طريق الشر دفعة واحـدة وثالث (؟) ينتقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الاصل غير موجود بالمرة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط وفرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

(١٧ — علم الله الازلي وسير الناس في الطريق) ربما تقولون مما ذكرته آنفا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الازلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم مَن مِن هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل مايحدث مهما كان من عمل الانسان الحر كان معلوماً لله ازلا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لاتخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خالق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فالمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو المختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتمام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ماخصص كل فرد لنفسه من أحدهما مع كونهما وكل مافيهما من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداهة لا يزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية مافي الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لغرض هو :ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالآية «ان الله كان عليكم رقيبا» . ويؤيد ذلك مايأتي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أولا : ماذكره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أوالامتحان لاختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائيا على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالآية : «أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى يصرح في القرآن بنفسه بانه تعالى لايعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه ويجربه ويمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو التزعزع عنه بمطلق حريته الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشاف فهو مردود لانه لايوجد لله علم مكشوف لان المعدوم والموجود في علم الله سواء

ثانيا : قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة ما ليحور (؟) ارادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام - والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا ليجعلها في ضمن الفتنة أو اللازم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها . وان هذا العلم لايكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لايكون معنى للمراقبة التي مدلولها التأمل لانتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (؟) جهتين متضادتين

ثالثا : قال تعالى « وماجعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى يصرح هنا انه لايعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة ببيت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لايتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئاً أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ماخلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلقة الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعاان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيبهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه . ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلا . كلا بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السير بحريته في احد الطريقين المتضادين المعلومين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يمده الله بعد ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت »

رابعا : ان خلق الناس متساوين(؟) في بدأ الخلقة وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : «وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاتقه بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرهما مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمله ولن يعمله الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقة ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لما اكتسبناه بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا

للمقسوم المحتوم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايمان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي · فهو لا يؤيد على الله الجهل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد· والمطلوب علمه هو تقييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله ازلا من كلا الطريقين · فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله ازلا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة · ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع ما من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيبا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره يثبت لكم ان الله تعالى لم يخصص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع · كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه الثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الخلقة

(١٨ ــ تعلق العلم الإلهي ــ علم الله بالواقع وبضده في وقت واحد) قلتم في صحيفة (٥٤١ ج ٧ م ١٢) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا.. وذلك محال»

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريدها الله تعالى بحق كالآية : « انما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنهـا معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولـكنه ما زال معلوما لله تعـالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هـذا التعلق الذي تقصدونه معناه تحـديد ما وقع فعلا منهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أيدتم عدم فهمكم لـكثير مما ذكرت آنفا (وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصـلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعـالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحـد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحدمنها في وقت واحد وان هذا التخصيص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه (راجع ١٧ علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلقا من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ . اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء . وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن الا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى انه كفر الا في حال كفره ٠وان حكم الواقع عند الله في العلم هو كحكم المعدوم سواء بلا فرق وان كان ذلك يعجز عنه عقل الانسان « ليس كمثله شيء »

ثانيا : عثرت في الكتبخانة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه (مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الايمان ولا خلقهم مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والايمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافرا . فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمنا في حال ايمانه وأحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه »

فافتكر ان مدلول ذلك وان كان مجملا ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على ان علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق ـ مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد ان يبصروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » ـ فهذا يدلك على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكنا لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتى يكون الكفر بعيدا عنهم في العدم كما صار الايمان الذي يتمنوا (؟) ان لو ردوا الى الحياة لاعتنقوه(؟) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثا ، بل لغرض ان نعلم أن علمه تعالى لم يكن معلقا بالكفر الذي كفروه فعلاً ويعذبون لاجله في الآخرة ، لان معنى التعلق يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختيارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعلق ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الايمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتها المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى علم منهم انهم اختاروا الكفر بحريتهم

بدل الايمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقتهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد « وما ربك بظلام للعبيد »

رابعا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فان العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عذبهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يجعلوا الذي عملوه في العدم والضد مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن معلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتعذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لاخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « وانفقوا مما رزقنا كم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدَّق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول يا ليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل » الخ الخ

(١٩ — مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان) أخشى ان تقولوا ان ما ذكرته معسلطا (؟) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :

الاول : إفرض يا صاحب المنار أنك أصبحت غنيا ومالكا لمحل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عدده المليون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرته مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و٣ و٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و٤ و٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متمتعين بحريتهم وأخذ كل منهم نمره المقررة له منكم من قبل . فهكذا تقولون أنتم عن علم الله الازلي بازاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمره من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل. وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمرا محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة ويأخذ عشرا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان ادخلتهم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضع كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غيّر شيأ في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو انقص شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فهكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على مثل هذا الغرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال مايعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

جميعا » فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهيته في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تعميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناءعن ارادة الله الذاتية في وضع الانسان على هذا النظام من الازل ــ وكل ذلك بالبداهة للمتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (؟)

(٢٠ — ادوار الخلقة الانسانية أمام العلم الالهي) ينقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويبتدأ من بدء الكون الى وقت الولادة ·وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة · والدور الثالث الآخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاذا فرضنا ان الآخرة تجسمت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير · فاقول ان كلامنهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد في علم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلامن (ج) و (س) شخص طاهر مكرم لاشقاء له ولاسعادة الابعدان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (؟) وجهين متضادين فيهما السعادة والشقاء يراقبه الله تعالى عنداختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الآخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الاخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا و به صارسعيدا في الاخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان

يجتمعا في الآخرة في الجنة . و بالعكس فان الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته و به صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا ايضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وان الاخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وان يكون معه جنبا الى جنب حتى يجتمعا (؟) معا في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الا آله الازلي

(٢١ — الله اول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز: « قل اعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس » فصرح تعالى في هذه الاية انه ملك الناس والههم . وهنا اسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الانساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ . فاذا كانت نوع الحكومة الالهية مجهولة لصاحب المنار فاني اقول له انها هي الحكومة التي تعشقها وتتلهف على وجودها الآن جميع الامم و يسفكون لاجلها دماءهم واموالهم للحصول عليها الا وهي « الحكومة الدستورية » فان الله تعالى يحكمنا بالدستور الازلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته واوسع علمه لم يشأ ان يحكم الناس الأحكما دستوريا عادلا لنتعلم من ذلك وبما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما نجعله اساسا في اعمالنا واحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل وتحيى الامم على أساس رصين وكفى الانسان شرفا ان يكون هو الوحيد خليفة الله في الارض ليعمل في حكمه كعمل الله كالاية « إني جاعل في الارض خليفة »

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علما تاما كان هو وحده الذي اسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لعدالته كل مخلوق في الارض والسماء ارتياحا تاما لانه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه « كتب على نفسه الرحمة » وكان الاساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات « الحرية » الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وانه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح او اساءة الا أن يعدها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس الا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية « وما تجزون الا ما كنتم تعملون » و بمقتضاء

صار « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها (اي نخلقها) ان ذلك على الله يسير » وبه يصيبنا في الحياة الدنيا والآخرة بجزاء الخير أو الشر طبقا لاعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا و بكذا . فطبعا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد وارتكبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى (؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لمجازاتهم بالخير أو الشر في الحياتين تبعا لارتكابهم خطأ أو عملهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيبا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقيبا »

(٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة) صاحب المنار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص (ج) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ماسنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ماحصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم — و بمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول ياصاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما تتوهم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ماايناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا فالشخص معلوم . وانها لاتعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

ARCHIVE

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزاء ٠لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة ٠ بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخبيث والطيب بحريتها ٠وان القانون مذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه ٠ وأمام ذلك الجزاء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ماهو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جناية السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازى (٤) بمنطوقها ايضا وبالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافأته بها ٠ وبديهي للمطلع ان الفرق بين القصدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد ٠ولكن صاحب المنار يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولافهم وجه الاشكال التي كانت به اقتل ادواء المسلمين عنده فاحل له ماأحكم من العقد في خياله » فاذا كان صاحب المنار للآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الان الفرق بين المقالين السالفين وليعلم مما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجهه الحق :فان الحق والباطل لايجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

(٢٣ ــ لاقسمة معينة لشخص معين في الازل)يقول صاحب المنار صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته ــ فالقسمة فيه أزلية أيضا« وأقول: أما علم الله تعالى بكل ما كان وماسيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمة الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أزلا أمر لم يفعله الخالق ويتبرأ منه القرآن ٠ نعم نظام الشقاء الانساني أوالسعادة الانسانية معلوم لله تعالى أزلا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أراد لهم الخالق أزلا ان يكونوا خلفاءه في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المعلومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحريته والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل العالمين « وما ربك بظلام للعبيد »

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال تعالى : «ياأيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوءتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم » فهذه الاية الكريمة توءيد ان خير الله تعالى المطلوب أعطاه لهوءلاء الاسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الاية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الايمان به أو الكفر فاذا غيروه بحريتهم التي لا يمسها الخالق في هذه الحياة الى خير او ايمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بخير احسن مما اخذ منهم وقت الحرب من مال أ وأبناء- وان علم الله تعالى بخير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتمام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالآية « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاءه أو قسمته طبقا لارادتنا الحرة في اختيار نوع من الاعمال . وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيره- كلا- بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء واذا قال تعالى « وان عدتم عدنا » فان قول الله تعالى للكافرين « وان عدتم » دليل على عدم المانعة لهم من الله في الاعادة لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى: « عدنا » أي عدنا بعد ذلك بالانتقام تبعا لما ستفعلوه (؟) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتقم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم البين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى : « وان تعودوا نعد » وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثلا من قانون العقوبات فكلما يرتكب جناية تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجناية اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا تقول الله تعالى : « وان تعودوا نعد » أي ان تعودوا لفعلكم الذي به تجازيتم (؟) بمقتضى القانون الإلهي- نعد لمثل هذا الجزاء عليكم (؟) بالثاني- فأنتم أحرار فيما تفعلون . فبذلك و بغيره قلنا « ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم » لشحن القرآن الحكيم من أمثال هـذه الآيات الواضحة كالآية : « فمن

أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب »
أي ان كل من يكذب على الله من بني الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، و بالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في العلم الازلي بل النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم		كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

***

﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم من سؤاله عن القضاء والقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان هو الذي يريده من كلامه السابق فقصرت عبارته عن بيانه أم حمله الحرص على الاتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سددنا في وجهه باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لئلا يتشعب الكلام و يطول بل أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالايجاز فقرة لم يفهم مرادي منها و بنى على فهمه خلافا طفق يحتج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات. تلك الفقرة هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا و يعيدهم عليه» ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خلق كل فرد من أفراد البشر إما شقيا غير مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيدا و إما سعيدا مطبوعا على الخير في أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

و ببعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عنيته بتلك الفقرة بل عنيت بها حال جميع البشر (لا كل فرد منهم) في الحياة الدنيا من أولها الى آخرها وحالهم في الحياة الآخرة وهما الحالان اللتان يعبر عنهما علماؤنا بالمبدإ والمعاد . وقد قال تعالى (٧ : ٣٠ كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا ولله الحمد

ان الضابط أحمد افندي بدوي النقاش يريد ان يثبت ان الانسان خلق حرا مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لاسباب سعادته وشقائه ملكا تاما وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للخالق فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعلمه بها تعلق الا ان الله تعالى يعلم ماعمل الانسان بعد وقوعه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر المليين ولا غير المليين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية من المليين كما بينا ذلك من قبل

http://Archivebeta.Sakhrit.com

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد وإلزام وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته الغريبة فما الذي حمله على إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس وتعليله ذلك بقوله «لنعلم» وقوله «ليعلم» (* وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المبينة لبعض تلك الاعمال قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والرعد والمؤمنين والم السجدة والحشر والتغابن ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان يتحكم أحمد افندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أفعال الناس وهو تعالى

---

*) راجع ص ٧ — ١٠ ج ٢ من التفسير و ص ٤١٢ — ٤١٤ م ١١ من المنار

يقول (٢ : ٢٥٥ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) أي يعلم ما يكون امامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لانه هو واهب العلم للانسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠ : ١١٠ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه وما لا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عزّ وجل (٢ : ١٤٢ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٦ : ١٤٨ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١١ سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١٥ سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفقهون الا قليلا) وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما اخبر تعالى انهم يريدونه

ومن اخباره جل جلاله باعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الاخيرة التي ذكرناها آنفا من سورة الفتح (قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨ : ٢٧ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله (٣٠ الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوي العزيز * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وقد

صدق خبر الله تعالى ووعده في الموضعين فغلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبين في محله · ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا بيحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها واعماله قبل ولادته ، ومن اخباره تعالى شأنه باعمال الناس واقوالهم في الآخرة قوله (٧ : ٣٨ قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار، كلما دخلت أمة لعنت اختها ، حتى اذا اداركوا فيها جميعا قالت اولاهم لاخراهم ربنا هؤلاء أضلونا) الى الاية ٥٠ منها وليتدبر احمد افندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك (٥١ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم) ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تحاور أهل الجنة واهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله (٣٧ : ٢٧ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار اهل الجنة بينهم ثم اطلاعهم على اهل النار ومخاطبتهم إياهم (٥٠ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أئنك لمن المصدقين) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التحاور في الآخرة بين المنافقين والمؤمنين

أفنسيت ايها المنكر لعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الآيات كلها أم تجد لها تفسيرا برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك، ولولاه لما نشر نا رسالتك، ولما طمعنا في هدايتك، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تغتر بعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زلت لا تتفق مع الايمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمنا بالقرآن متأولا له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في رجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مغرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم إيمان اناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على إيمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للايمان والحق والخير · ومن ذلك قوله تعالى (٢ : ٦ ان

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يوءمنون ٧ ختم الله على قلوبهم)
الخ وقوله (١٨ : ٥٧ وجعلنا على قلوبهم اكنّة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذًا ابدا)

ولو شئنا لانتقلنا من هنا الى موضوع تكثر فيه الآيات الناقضة لمذهبه في
الاستقلال التام والحرية المطلقة التامة للبشر في افعالهم كاسناد اعمالهم اليه تعالى
وتقييد مشيئتهم بمشيئته فمنها : (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير
الحق — ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين — يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا — فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى — وأضله الله على علم — سنستدرجهم من حيث لا يعلمون* وأملي لهم ان كيدي
متين — وما تشاؤن الا ان يشاء الله — قل كل من عند الله — ولو شاء الله مااقتتلوا
ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة — ولو شاء الله لجمعهم على الهدى — ولو شاء ربك
لآمن من في الارض كلهم — ولو شاء الله لهداكم اجمعين — ولو شئنا لآتينا كل
نفس هداها — قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله — يريد الله انلا
يجعل لهم حظا في الآخرة — ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا — فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
— وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله —
ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء — والله لا يهدي القوم الظالمين —
والله لا يهدي القوم الفاسقين)

وامثال ذلك كثير وما كنا نحب ان نشير اليه في موضع لا يتسع لابطال ما
فهمه الجبرية منه على اننا قد بينا ذلك في التفسير وفي مواضع أخرى لايمكن لاحمد
افندي بدوي ان يستغني عما ذهبنا اليه في تفسيرها وهو ان مشيئة الله تعالى وارادته
جارية على سنن حكيمة هو الذي وضعها لنظام العالم ومنها ان للانسان علما بما يفعل
وارادة ترجح بعض الاعمال الممكنة المستطاعة له على بعض واستقلالا مّا في عمله
الاختياري اي الذي يعمله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين و بين اعتقاد احمد افندي بدوي اننا نحن نؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمله عباده قبل ان يعملوه و بعد ان يعملوه لايتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ماسوف يجازي به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه و بعده بلا فرق ، وان الجزاء على الاعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح وتزكيتها للنفوس او تدسيتها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفذ فيه مشيئته بحسب علمه ، وان هذا كله لاينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تمام الاستقلال ليس لله عليه سلطان في أفعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يطلع على عملهم فيجازيهم عليه !!! هذا مايريد ان يصلح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وماهو الاضلال مبين ، فعسى ان يرجع عنه ولو بعد حين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقريظ المطبوعات الجديدة

﴿ غاية الاماني، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي ٠ رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية ٠ بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ماعزي الى ابن تيمية كذباً وبهتانا من الاقوال الباطلة وماعزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفرد به وهو لم ينفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تفند أقوال المفترضين الكاذبين والجاهلين تفنيداً ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقا

وفي هذا الكتاب مالا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما

فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا من الشرق والغرب يسألوننا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بعلمه ولا بنقله » هو من قبيل السب ٠ وحاش لله ما هو إلا ما نعتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية مافيها من الاحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلا له

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تقاريظ حسنة فكأنهم كلهم ردوا على النبهاني ما جمعه كحاطب ليل ٠ وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبغي لمن يقرأه ان يراجعه و يصحح الكتاب عليه قبل القراءة ٠ وهو يطلب من الشيخ أحمد رزق بشارع الفحامين بمصر وثمنه خمسة وعشرون قرشا

***

﴿ إعلام الموقعين . وحادي الارواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب (إعلام الموقعين) والنقل عنه فأكثر قراء المنار يعرفون قيمته و يعلمون انه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كبيان الرأي الصحيح والفاسد والقياس الصحيح والفاسد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها عالم من علماء الاسلام ٠

واما « حادي الارواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للامام أبي عبد الله محمد بن القيم صاحب إعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار السلف في الجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في ميدان البيان ، بما يعجز عن مثله فرسان هذا الشان ، وقد طبع الكتابان معا بحرف جميل في مطبعة النيل بمصر في ثلاثة مجلدات

***

﴿ الاجوبة المرضية ﴾

« عما أورده كمال الدين بن الهمام على المستدلين بثبوت سنة المغرب القبلية »

كتاب صفحاته ٣٦ وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل يقال بادي الرأي انه أكبر من المسألة التي وضع لبيانها وهي سنية ركعتين قبل فريضة المغرب ، و بما يظن الذكي الذي لم يقرأه انه ككثير من الكتب التي وضعت لبيان شيء لا يتسع القول فيه فأكثر واضعوها من الاستطرادات والمباحث التي

ليست من الموضوع في شيء ليرضي أحدهم هواه و يظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هـذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ؛ فلا ينبغي ان يكتب فيها أ كثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينفق إسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يبالي أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطلع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطلت في تقريظه وتنبيه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمعول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أ كثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلوم ديننا فيجب ان نأخذه منهم لا من كتبه المقدسة لاننا لا يمكن ان نفهمها كما فهموها. هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتابهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيهما ولا ان نفهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك و يقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حظا من النظر فيهما وان يكون اصل اهتدائكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عونا لكم على ذلك فلا يسمعون «وما اضيع البرهان عند المقلد» وقد يزيد طالب العلم منهم جمودا وتعصبا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال والترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطلع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيتيه بذلك عجبا ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل لقارئيه نموذجا من ذلك

الكمال ابن الهمام أعلم الحنفية في عصره ولم يجيء بعده مثله بل يقل وجود مثله فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبحثا في الحديث وتخريجا له ولكنه لما كان بحثه واستدلاله لاجل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطإ في الاستدلال فاذا فحص العالم المستقل ادلته التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى الكثير منها خلابة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة المغرب القبلية فان الكمال عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا ينقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى انك لتعد من خطإه فيه العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صغره يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا يستغنون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المنقطع في دمشق الشام للتأليف وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا كله يتهمه الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشتغل بتأسيس مملكة عربية ويغرون به الحكومة الدستورية كما كانوا يغرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في ثمود

* * *

﴿ الحرية في الاسلام ﴾

ألقى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٦٤ صفحة وتفضل صاحبها باهدائنا نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقريظها راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولما نجده ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويها اجماليا وسننقل في جزء آخر نموذجا منها

ومن وجوه العبرة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتى في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية الممنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكلترا في ذلك

***

﴿ شرح المعلقات للزوزني ﴾

المعلقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وفائدتها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدبين في فهمها وقد طبع اكثر من مرة ولعل أحسن طبعاته هي الطبعة الاخيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بمعارضة المعلقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشنقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر (رحمه الله تعالى) وباثبات الأبيات الزائدة على مافي شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشنقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقتين أخريين اليها احداهما للنابغة الذبياني والثانية لأعشى بكر وائل وقصيدتي النابغة الداليتين الشهيرتين اللتين يصف في احداهما المتجردة

زوج النعمان بن المنذر ، ويعتذر في الاخرى له عما بلغه من السعاية فيه ويطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي واخوته بمصر

***

﴿ الوطن – أو – سلستره ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الاحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها نامق كال بيك (رح) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن يغالب العشق فيغلبه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في اعماق النفس ، والهوى المستتر في زوايا القلب، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، اشباحا مرئية ، ولكنه يسرف في ذلك أحيانا فلا يراعي فيه ما تعهد مثله الطباع وتعرف طعمه الأذواق فينتبه الذهن الى كونه خياليا لا حقيقيا ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوربا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجورا عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثار مؤلفها ، وجميع ما ينبه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمه الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الاحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخياط وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلها ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في معناها وحجمها ، وطبعها سليم افندي هاشم وكال افندي بكداش وهي تطلب من المكتبة الاهلية ببيروت ومكتبتي هندية والمليجي بمصر

* * *

﴿ المجلات والجرائد ﴾

(النبراس) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني وهي تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري إصلاحي . ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهده مجاورا في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلئ غيرة وإخلاصا وقد اشتهر إسمه في بيروت في اثناء اعلان

الدستور بما كان يلقيه من الخطب في الجامع . وهو مؤلف كتاب (الاسلام روح المدنية) الذي رد فيه على (لورد كرومر) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبيل اعلان الدستور وفيه نُقول من كلام الأستاذ الامام معزو اليه بعضها بالتصريح ونقول أخرى عن المنار (كما أشرنا الى ذلك في تقريظه) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فمجلة النبراس جديرة بتعضيد محبي الاصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرجى بنجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشا لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فالقيمة لأهلها ريال مجيدي وربع

* * *

(المفيد) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العريسي وهو من خيرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الغيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لهما وحسبك انه كان على حداثة سنه من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب النبراس أحدا من نابتة الديار السورية في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الامة بعد كهولنا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بيك العظم

وقد ظهرت مزايا جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصدعها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعتها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتنبيهها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير تقية ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقتبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد تستطيع حمل اثقال الغلو في انتقاد الحكام فننصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام نقده دائما الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان يتقي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان نبث بثرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب إحياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة العنصر العربي وحده ، ولتكن دعوتنا الى إحيائها ونقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من نفثات اقلامهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نر لجرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجع الى مجلة « صراط مستقيم » تجدها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنهى صاحب «المفيد» عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعزز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتتبع عوارهم ، ويقلم أظفارهم ، ويترجم مايكتبون في ذلك ويحذرهم من مغبته ، وإغرائه كل عنصر بتعزيز عصبيته ،

وقيمة الاشتراك فيها اربعة ريالات في بيروت وليرة عثمانية في سائر الجهات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

***

(الرقيب) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية والتركية صاحبها ومديرها عبد اللطيف افندي ثنيان (وكيل مجلة المنار) ويعجبنا منها ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما ينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الاصلاح · وفي يدنا الآن العدد ٥٠ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مفتتح بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظارتي الحربية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس · وسننشره في باب الاخبار · ويليه نقل ماروي عن طلعت بك ناظر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك · والتعقيب على هذا الخبر بعدم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج · قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٠ قرشا لاهل بغداد و٣٥ لسائر الولايات العثمانية و٧ روبيات لاهل خليج فارس والهند و ١١ فرنكا لسائر الممالك

باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشهير واليا على بيروت بعيد طلوع فجر الدستور وكانت الولاية لاتزال سكرى بخمرة الانقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافتيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مداراة للأهالي حتى كان نفوذ كثير من البحارة والحمالين (الشيالين) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فتلطفنا في الاشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فما ليس من شأنهم ، لايقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعنيت بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتى يكون الاهالي معه كمن وردفيهم انهم يقادون الى الجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تعود عليهم الزاما لامحيص عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في المداراة على ماتعوّد ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسؤلية الدستور من حيث شعر أكثر الاهالي بضد ذلك وظنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة. فكان حفظ الامن واضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ (الابضايات) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على ما فيها من الخطر حافظة للامن العام

ثم نقل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها - وسيجيء ذكره - وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسى ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لا رجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لا يبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهمه ماوقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتعلمه ، اذ لم يكن من قبل يعلمه ، وقد بينا في المنار من قبل اننا نصحناله بأن يعيد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف افتيات عصائب العوام عند حده ، و يعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لايمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصلح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذه في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم وانه لايفتقر فيه الى إصلاح القوانين ولا تجديد النظام و إنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحاكم الحازم . وبينا أيضا اننا نصحنا بمثل ذلك لمتصرف طرابلس جواد بيك وانه كان يجيبنا بمثل ماأجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة

ظهر بعد ذلك صدق ماقلناه لهما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة ببيروت أمير الالاي نجيب بيك ففل عصائب المفتاتين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر و يغادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فعرف الاهالي مالم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خير عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة (مدير البوليس)

وولي متصرفية طرابلس الامير أمين أرسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فتيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء والقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم وإلقائهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقيل انه صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء أو المنتسبين الى بعض الجمعيات ولعله لا يدري أنهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء اللصوص وسالبي الامن . وقد انتخب مبعوثا عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر . فهل يعتبر الولاة والمتصرفون و رؤساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب ونافذ وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة؟

دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولعله أضعف ولاة الدولة عقلا وفهما، وأسوأهم ادارة، وأقلهم حزما، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آلة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية، واعادة العبودية الحميدية، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيده وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة

ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية (ولقان) الافسادية، التي أطلقوا عليها اسم «الجمعية المحمدية» تمويها وخداعا لعوام المسلمين · نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانها من الوجهاء، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهرت الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها ولقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بابطال الدستور واعادة السلطة الحميدية، باسم الشريعة المحمدية، على حين لم يخذل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عهده، ولا أرى المسلمين مثله بعده

حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشئومة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها ولهذه الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولا بمشايعة جمعية (ولقان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعيا فانا ارتجاعي فكيف يتهمه بعد هذه الشهادة بالارتجاع، وشاع أيضا ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قد مهد لهذه الفتنة في الاستانة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة، وان السبب في ذلك حملات المقتبس الشديدة في الانتقاد عليه و بيان مافي ادارته من الخلل والتقصير ·

و يغلب على ظني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافى الفتنة ولأنقذ من مخالبها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية مالا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيده أكابر المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي الهدى وغيره للشيخين البيطار والقاسمي في عهد الحكومة الحيدية وانهم يكيدون لهما الآن بمثل ذلك ويريدون ان يجعلوا الحكومة الدستورية كالحيدية آلة لنفوذهم والانتقام ممن يبغضون من الاخيار والاحرار ومحبي الاصلاح · ناظم باشا يعرف هذا كله وكم منع أمثال هذه الفتن والشرور في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشيخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقوله مقبول عند الوالي الذي خلفه وفي الاستانة

أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا أصدق أصدقائه يلومه فالحكومة أجدر بلومه على ما كتب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يجعل الرجل جانيا خارجا على الدولة هادما للقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب المقتبس كتبه ليدعو اليه لما أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام، الذي أرسل ليطلع عليه الخاص والعام، وهو نفسه يتمنى لو يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته · فمن البديهي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم، لا زلة قدم، وكثيرا ما تزل أقلام الكاتبين لكلام الله وكلام رسوله، وآية ذلك انهم إذا نبهوا أوتنبهوا الى خطأهم يبادرون الى إصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمسه، ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسير هاتبعا لما وقع في منار العام الماضي، وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فهل تعاقبنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ ؟

هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن تعاقب حكومة الخلافة النائبة عنه من يخطئ في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورد رزقه وهو القائل « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » · رواه الطبراني عن ثوبان (رض) بسند صحيح · أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة ؟ أمن يخطئ في خبر لا يؤاخذه الله ولا رسوله عليه، ولا سيما بعد ان تاب ورجع عنه، أم من يعاقب من منع الله ورسوله عقابه ؟ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا،

لقد قرت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجعيين ، وما زالت واجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليهنأ الرجعيون في رمضان هذا العام بفتنة صاحب المقتبس ، كما هنئوا في رمضان العام الماضي بالفتنة التي أثاروها على صاحب المنار ، وكما هنئوا في عام سابق بالفتنة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، وليقولوا ان شاؤا ان لكل حر عندنا في رمضان فتنة ، وانا نعد لكل طالب للإصلاح محنة ، وإنا لنحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، وانا لنحن العابثون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن نقول ان العاقبة للمتقين، ولاعدوان إلا على الظالمين ، وان الاعمال بالخواتيم

وما الهِنا منكم بشفِ نقبا   وطالما اشفى الهناء النقبا

فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكمة العرفية وان لم تنصفهم المحكمة العرفية فسينصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم الغالبين وحزب الفساد والاستبداد هم الخاسرين

مظالمنا في طرابلس الشام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نحن أقل الناس تعجبا مما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسعهم علما بحظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكام وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجهل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والتظلم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم. وعلمنا هذا بعضه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبعضه اختباري بالاطلاع على أحوال الحكام و بالدخول في المحاكمات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يقينا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الاهالي . ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجزء الماضي ما كتب في جريدة بيروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية ليعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدية منا فضلا عما سلبه الاشقياء لعلمهم برضاها بظلمنا وعدم الانتصاف لنا ممن يعتدي علينا

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بداره فمكنت الحكومة الاستبدادية بعض المتهجمين على الحقوق بما كان في تصرفه من حصة الاموال الأميرية الموجهة على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلسلة اليه من ذريتهم بغير توجيه شرعي ولا نظامي ومن أوقاف مسجدنا أيضا . وكنا كتبنا في المنار ان نائب طرابلس في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ماكان على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه ليس هنالك توجيه صحيح وأقمنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه الجلة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى و يلوي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره ، ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد !

على أنه قرر في اثناء الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا لم توجه بعد والدي على أحد وانه رأى ان يوجهها موقتا على خصمي مع أخ لي مناصفة الى أن تنتهي الدعوى التي لا يريد انهاءها إلا إذا أنا أرضيته وما أنا بالذي يرضيه

نعم قرر هذا النائب (عبد المجيد افندي الجعفري) ان الحصة المذكورة (وتسمى حصة السبعة القراريط أو السبعة السهام) لم توجه بعد والدي على أحد وامامه دعوى فيها ان خصمي (محمود حسن) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم انني صاحب الحق فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المغتصب ولم يوجهها الي ؟

السبب في هذا هو أنه حاكم مستبد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان تسأله عن ظلمه وتعاقبه عليه فماذا يمنعه من تمكين المختلس لهذه الحصة زمنا ثم يوجهها عليه توجيها موقتا بعد ثبوت اختلاسه اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت مؤبدا !!!

ماذا يخاف عبد المجيد الجعفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضها وقضيضها وهجم الالوف من أهلها على المحكمة لاخراجه منها أو الفتك به لسوء سيرته واشتهاره بهضم الحقوق وانتهاك حرمة الشرع و بعد أن ارسلت العشرات من الشكاوي عليه بالبرق الى شيخة الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، و بعد ان أمر شيخ الاسلام بمحاكمته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكمته الصلح بينه

و بين خصمه بعد ان ظهر لهم وجه ادانته والحكم عليه ! ! ولماذا ؟ لانه رجل ذو عيال !

فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا ومرضية عند امتنا ونكون معها امة دستورية وحكومة دستورية ؟ ؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في عصر الدستور مباليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟

هذا الصلح والاغضاء عن حاكم يعبث بالشريعة و يضيع الحقوق فتعذره الحكومة لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكام فضلا عن استمرار الظالم على ظلمه

تزوج الجعفري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنها لمجرد التمتع وهو في سن الستين ليس في لحيته شعرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح اربع بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنعه قلة الراتب من ذلك والحكومة الدستورية تبيح له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما نعلم ذلك علم اليقين في قضيتنا وكما يلهج به الناس في بلادنا

استغفر الله إن الحكومة الدستورية لاتبيح له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان المحاكم الشرعية لم يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كمحاكم مصر ولا المشيخة الاسلامية رئيسة هذه المحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام النواب (القضاة) فيقل عبثهم بالشريعة ولا هي تضع لهم كتابا كالمجلة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال العهد على هذه الفوضى في المحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة و بطلت ثقتها به فنوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

﴿ حال الفيلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية مانصه مع تصحيح قليل :

ذكرت رصيفتنا (بغداد) في عددها ٤٨ ان قد اجتمع في النادي العسكري امراء وضباط الفيلق اجتماعا عموميا وتذاكروا في أمر الفيلق السادس وانحطاطه وتدنيه وكان من نتيجة مذاكراتهم ان بعثوا بتلغراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فآثرنا درج ترجمته بالعربية وهذه هي :

« ان فيلقنا باعتبار الاعداد هو الفيلق السادس وهو الحارس الوحيد لقسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والرزايا في السنين العديدة نزل الى دركة من السفالة والضعف . ولذلك لم تزل الدواهي تتوالى على أفراده حتى لو جمعت لبلغت أعظم مبلغ يمكن تلفه في حرب دموية عظيمة بل أضعاف ذلك. فهذه المصائب أوقعته في المخاطر وشوشت نظامه لدرجة فوق العادة .

فاليوم فضلا عن وجود الافراد الاحتياطية يوجد ٢١ تابورا من الرديف أيضا تحت السلاح ومع ذلك فالامن العام مختل بصورة لايمكن ان تليق بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكته .

فالعراق اليوم بكل اطرافه بؤرة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الاسف الشديد لما هو فيه من الإزراء وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئاً ولا سبب الا سوء الادارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم يزل في كل دقيقة يخطو خطوة لهاوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفيالق بلا قوموندان ولا صاحب ولا رئيس أركان حرب !

فالاعتناء به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح بغداد وسكن تلك الغوائل بأجمعها.

فلو وجد قوموندان مقتدر فعال (لا كمن لا أثر له سوى كونه عبئا ثقيلا على بيت المال) لتمكن من اعادة شرفه وشوكته وسطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان ثمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق معدودا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قوموندان فعال مقتدر وكذا رئيس أركان حرب وكذا امراء يكونون اهلا لقوماندانية الصنوف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريعة فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحيق به .

إنا نأسف لعدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة لحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حررنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال و باسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

(تصحيح) في « س ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هـذا الجزء : ان الابرار يشربون من كأس . والصواب : ويسقون فيها كأساً . الخ